

من هو المسيح ؟

من هو المسيح ؟
ما المقصود بقولكم أن المسيح هو ابن الإله ؟

ينبغي أن يكون واضحاً بأننا لسنا من يقول بأن المسيح هو ابن الإله ، فالذي يقول ذلك هو كلمة الإله المقدسة بعهديهما القديم والجديد ، فنحن لا نتبنى عقيدة بشرية أو ندافع عن مفهوم بلوره العقل البشرى

قال سليمان الحكيم في حديثه مع الإله : " من ثبت جميع أطراف الأرض ؟ ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت ؟ " (أمثال 4:30) وقال النبي أشعيا منتبهاً عن المسيح الذي سيولد من عذراء : " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام " (أشعيا 9 : 6) ، ويصوره النبي دانيال إلهاً يسرع إلى نجدة ثلاثة فتية ألقى بهم في أتون النار من أجل اسمه ، حينئذ تحير نبوخذ نصر الملك وقام مسرعاً فأجاب وقال لمشيريه : " ألم نلق ثلاثة رجال موتقين في وسط النار ؟ فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك : أجب وقال : ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيهه بابن الآلهة دانيال 3 : 25) ، وهذا غيض من فيض ، فالعهد القديم يزخر بالآيات التي توضح طبيعة (المسيح السماوية .

وعلى الرغم من أن بنوة المسيح لله حقيقة تفوق العقل البشرى المخلوق المحدود ، فإن العهد الجديد أيضاً يوردها صراحة ودون أي استحياء أو محاولة للاعتذار ، وقد جعل الإيمان بها أساس الخلاص من دينونة الإله " الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الإله الوحيد (يوحنا 3 : 18) ، غير أن هذه الحقيقة ليست من النوع الذي يمكن التوصل إليه بالعقل البشرى) " المجرد ، حين سأل المسيح بطرس عما يعتقد فيه ، أجب " أنت المسيح ابن الإله الحي " ، فأجاب يسوع وقال له : " طوبى لك يا سمعان بن يونا ، إن لحمًا ودمًا لم يعلن لك ، لكن أبى الذي في السموات " (متى 16 : 17) ، لا بد أن يكون هنالك إعلان من الإله لكل إنسان حتى يفهم هذه الحقيقة ويقبلها ، تقول كلمة الإله أيضاً : " وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس " (كورنثوس 3 : 12) ، إن الأمور التي تفوق العقل هي التي تحتاج إلى إيمان ، أما الأمور الأخرى فلا تحتاج إلا إلى الحسابات والتصديق المنطقي ، لم يكن سهلاً على الناس حتى في زمن المسيح أن يقبلوا قوله عن نفسه بأنه ابن الإله الوحيد ، تقول كلمة الإله " فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه لم ينقض السبب فقط ، بل قال أيضاً أن الإله أبوه معادلاً نفسه بالإله " (يوحنا 5 : 18) ومن الملاحظ أن نفس الروح التي كانت تحاول إثارة غضب الناس على هذا الحق الإلهي ما ، (18) زالت فيهم حتى يومنا هذا

لنحدد أولاً ما لا نقصده بقولنا إن المسيح هو ابن الإله ، فنحن بالتأكيد لا نقصد أنه ابن التناسل ، الإله لم يولد وهو لهذا لا يلد ، يوضح لنا المسيح نفسه أن الإله روح " (يوحنا 4 : 24) ، فمن السخف والتجديف الاعتقاد بأن له جسداً وأعضاء تناسلية للقيام بهذه العملية ، ولهذا لا يمكن قبول القول بأن الإله ينجب ولداً من امرأة من البشر ، ولقد قامت الكنيسة المسيحية عبر العصور بمحاربة الفكرة الشيطانية التي تحاول النيل من سمو الإله وكماله ، ولقد عرفت هذه البدعة عند القائلين بالثالوث المريمي ، والذين كانوا يقولون بوجود ثلاثة آلهة هم الإله ومريم والمسيح .

إننا نؤمن ببنوة المسيح الروحية لا الجسدية للإله ، فنحن نقول إنه ابن الإله ، لا ولد الإله ، لا نؤمن بأن بنوة المسيح للإله بنوة تاريخية محدثة ، ولكننا نؤمن بأنها روحية أزلية أبدية ، فالمسيح لم يُخلق ، ولم يكن هنالك وقت كان فيه المسيح غير موجود ، نتحدث مثلاً كلمة الإله بلسان المسيح ، " منذ وجوده

وجود الإله) أنا (المسيح) هناك " (أشعيا 48 : 16) ، كما تكلم النبي ميخا عن أزليته عندما تتبأ عن مولده في بيت لحم ، " أما أنت يا بيت لحم أفراة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا

فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل " (ميخا 5 :
لقد كان الإله الأب أباً منذ الأزل ، وهذا يعني أن الابن يسوع المسيح كان ابناً له منذ الأزل إذا (2)
. أريد أن يكون لأبوة الإله الأزلية أي معنى ، فوجود الأب متزامن مع وجود الابن
فلا يمكن أن يكون أب بدون ابن ولا ابن بدون أب ، فالمسيح دائم التوالد من الأب كما أن النور دائم
الانبثاق عن الشمس .
إن المعاني المتعارف عليها والمتضمنة في كلمة " ابن " تساعدنا في إلقاء الضوء على معنى بنوة
المسيح للإله ، فالابن يحمل نفس جوهر أبيه ، ويعكس صورته ، وهكذا فإن المسيح يحمل نفس
الجوهر الإلهي الذي يحمله الأب ، ولهذا لا يتردد الكتاب المقدس في تسميته بالإله " وكان الكلمة
الإله " (يوحنا 1 : 1) وهذا هو الإله الحق (1 يوحنا 5 : 13) فالمسيح إذاً هو الإله وأبن الإله ، كما
إن الإنسان المولود يكون إنساناً وأبن إنسان في نفس الوقت ، فيقال إنه إنسان إشارة لطبيعته ،
وأبن إنسان إشارة لأصله وعلاقته بأبيه
قال المسيح " الذي رأي فقد رأى الأب " (يوحنا 14 : 9) كما أن الابن يملك كل ما يملكه أبوه ،
(قال المسيح " كل ما للأب هو لي " (يوحنا 15 : 16)
كما أن للابن سلطان أبيه ، قال المسيح " دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض " (متى 28 :
18)

والابن يتحدث لغة أبيه ويتبنى تقاليده ويحمل قيمه ومقاييسه ، وهذا ما يقصد عادة عند القول بأن
فلاناً ابن الأردن أو ابن مصر ، يقول يوحنا " ورأينا مجده مجداً كما لوحد من الأب مملوءاً نعمة
وحقاً " (يوحنا 1 : 14) ، لهذا ينسب الكتاب المقدس للمسيح كل الصفات والكمالات الإلهية، كما
تتضمن البنوة معرفة خاصة بين الأب وأبيه، قال المسيح " ليس أحد يعرف الابن إلا الأب ولا أحد
(يعرف الأب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له " (متى 11 : 27)
: وهناك أيضاً العلاقة الوطيدة والمحبة المتميزة القوية بينهما، خاطب المسيح الأب قائلاً
لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم " (يوحنا 17 : 24) ، والابن مصدر فرح أبيه وسروره، قال سليمان
(على لسان المسيح " كنت كل يوم لذته فرحة دائمة قدامه " (أمثال 8 : 30)
كما تفيد كلمة ابن المساواة ، تقول كلمة الإله : " فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه ، لأنه
لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضاً أن الإله أبوه معادلاً نفسه بالإله " (يوحنا 5 : 18) ، وأيضاً قال
" المسيح " أنا والأب واحد
(يوحنا 10 : 30)

كما إنها تتضمن الاتكال على الإله في كل شيء ، وذلك لارتباط الابن بأبيه ، فعندما جاء إلى الأرض
مرسلاً من الإله كان يشير دائماً إلى شهادة الإله له ومؤازرته له ، قال اليهود " قد أتكل على الإله ،
(لأنه قال أنا ابن الإله " (متى 27 : 43)
وتتضمن أيضاً الطاعة ضمن المهمة المرسومة له والمتفق عليها سابقاً ، وهي طاعة المحبة
والإنسجام والتوافق لا طاعة العبد الأقل أصلاً وشأناً من سيده ، قال يسوع " أنا قد حفظت وصايا
أبي وأثبتت في محبته " (يوحنا 15 : 10) فهو يحفظ وصايا أبيه لأنها لا تختلف عن وصايا
وتستخدم اللغة العربية كلمة " ابن " لتشير إلى مفاهيم لا علاقة لها دائماً بالتنازل الجسدي كقولنا "
" ابن السبيل " وابن البلد " و " أبناء الجامعة " و " وبنت شفة
و " بنات الأفكار " وما شابه

إن أهم نقطة يجب الانتباه إليها هي أن البنوة لا تعني الانفصال ، قال المسيح " أنا والأب واحد
(يوحنا 10 : 30) ، كما قال " أنا في الأب والأب في ، الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من) "
نفسى ، لكن الأب الحال في هو يعمل الأعمال " (يوحنا 14 : 10) ، فالإله واحد لا يتجزأ ، إننا
نؤمن أن الإله موجود بذاته ، وهذا يسميه الكتاب المقدس الإله الأب " وناطق بكلمته ، وهذا هو
الابن " وحي بروحه وهذا " الروح القدس " ، إله واحد وليس ثلاثة آلهة ، لأنه لا يمكن أن يكون "
الإله ذو الوجود الذاتي غير ناطق بكلمته وغير حي بروحه ، وحين نقول بأن المسيح هو كلمة الإله ،
فإننا نعني بذلك أنه القوة العقلية الإلهية الشخصية الحافظة لنظام الكون ، ويقصد بالكلمة أيضاً تعبير

الإله الشخصي عن ذاته ، فالمسيح يعلن الإله كما يعلن كلامنا عن أفكارنا ، لهذا قال " الذي يراني يرى الذي أرسلني " (يوحنا 12 : 45) والمسيح " بهاء مجده ورسم جوهره " كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين ، وهو لهذا أسمى تعبير وأكمله عن الإله ، لهذا يقول الكتاب : " وكان الكلمة الإله " (يوحنا 1 : 1) ، وتفيد أيضاً أن له الحق في الحصول على نفس الدرجة من التكريم والإجلال قال السيد المسيح : " لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الأب ، من لا يكرم الابن لا يكرم الأب ، (الذي أرسله " (يوحنا 5 : 23)

دون فهم لكون المسيح ابن الإله لا نستطيع أن نفهم عظمة محبة الإله لنا وتضحيته بابنه على الصليب من أجلنا " لأنه هكذا أحب الإله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له (الحياة الأبدية " (يوحنا 3 : 16)